مناقشات

التجاوز والانجاز في لغة الشاعر

بقلم : محمد الجزائري

المفروض أن نخطو خطوة واحدة الى أمام .. ان حاولنا تجاوز الواقع الادبي عندنا .. وان حاولنا تجاوز ذاتنا ، بالاساس .. وحين يرتكز في الانسان موال طويل من القيم ، ويتناغم بذهنه عبر سنين مريرة ، ويذوب كل اهاله وأمانيه ، عبر الكلمة ، لا نطمح بأن يرفع العصا بوجه قيمه الالتزامية السابقة ، قطعا ، لانها تشكل جزءا من تاريخه ، من هرم شخصيته .. بل نطمح أن تذيبه الايام ، بمرارتها ، وتجعله أكثر التصاقا بالارض وبالناس وبالقضية .. لكي يعبر عن ذلك بالكلمة المخلصة ـ لا من باب « استعراض الكلمات » .. ولكن من باب الوفاء للذين علموه كيف يصوغ أشعاره وحكاياه ..

انني هنا لا أرد على من أشهر قلمه ضد « الوصاية » المزعومة على الشعر .. بل انني أحاول تثبيت نهج عام في المسائل التي أقتنع بها ـ شخصيا ـ في عملية « التعامل » مع الكلمة ومع الشعر ..

ان المسار النقدي باعتقادي « يجب » أن « يفرز الشعر » من خلال « فائدته » ووظيفته الاجتماعية ، ومن خلال قربه أو بعده عن مشاكل الجماهير ومشاكل العصر ، وخلاف هذا يكون الطلب بالتخلي عن « الالتزام » في الشعر ، « ابتعادا » عن واقع ، لا يمكن نكرانه .. وبالنتيجة « التقاءا » مع الاصوات الاخرى ، التي نادت ، عبر حقب زمنية طويلة ، بالفن للفن ، ابتداء من أفلاطون وكنت ، حتى «جنود» « حوار » و « شعر » ومن وراءهما .. وأخفقت في كسب جماهير الحقيقة وبلورة الصيغة الانسانية الملائمة في الشعر الحديث لتجاوز الواقع الراهن .

اما ان « تعامل » ـ أعمال الشعر ـ « من وجهة نظر واحدة هي هل انها شعر أم لا ؟.. » فلست أدري ـ بالضبط ـ ما هي القيم التي يحملها أصحاب هذا الرأي التجريدي الخالص .. عن هذا « الشعر » الذي يجب أن « تعامل أعمال الشاعر » وفقه ؟ كيف يكون الشعر ، شعرا ، فحسب !؟

أن نقول :

أشجار الصفيرات تحت عقل الكنيسة
معلمات الشمس يتحدثن في
هواء الغرفة
العلبة
حدود الصحراء هناك
القراصنة معي
نفتش في الغرف السرية
عن المؤامرات المرحة
والمحاكمات
الجزر جميله
غرف التعذيب
أحيانا .. (١)

أو أن نقول :

الفرات يغسل الشموع المطفأة
لعل أعشابنا تتعالى للرياح
التي لونت جرحي .. (٢)

أو نقول :

يستعبدون بكارة الليل
كل فعل مضارع زمن للهجرة للاسماء .
وتغسلون أوجه الايتام بالشمع والكافور
يصبح الاتون غابة من الحروف
قادم ، وتعكس الانوف مجاريها
شاهد ، يغطمون الانهر الراحلة في النهار
تركب الطيور أصواتها ،
خارطة المكفوف للمدن القطنية
تتضاءل الايام نقطتين
من الرصاص والنساء ، أصير نقطتين (٣) .

جائز أن يكون « الشعر ضد الشعر » ـ حسب المقاطع أعلاه ـ ومن منطلق نسف البنية القديمة المتآكلة للشعر القديم وصفع خد الشعر الذي نام على أرفوف الماضي ولم يتحرك ، أو يحرك لا المشاعر ولا الاجيال .. أما أن يكون مفهوم « الشعر » وحسب .. كلمات مضببة ، مختنقة ، وسريالية حتى الجذر .. فتلكم مهمة غير خيرة لشعرنا الحديث .. وهي لا تحقق أي انجاز طيب من ثم فهل هناك « شعر محض » ؟ وما هو هذا التقييم الذي يخطط مسار الناقد لهذا « الشعر المحض » ؟..

باعتقادي ان الشعر ليس (عملية ذاتية محضة) . صحيح ان « الذات » لها فضل كبير في صياغة القصيدة الشعرية لكن (عملية الخلق الشعري) ليست (مشاعر ذاتية محضة) ، بل ارتباط الشاعر كواحد من المجموع البشري وتفاعله مع هذا المجموع ، هو أساس كل الارهاصات الفكرية والشعرية التي تنتابه من ثم ، تحدد أما لغته ، أيضا ، صيغة التعبير الافضل ، والاغزر والاكثر شفافية وانسانية . حتى في أعمق حالات القلق الحضاري والمعاناة الشخصية.

وبالتالي فان عملية الخلق الشعري ، هي وليدة محصلة قوى الشاعر الانسان ، الذاتية والمجتمعية ، ومكتسباته الحياتية ، والفردية، ورؤاه الخاصة ، عبر العام والشامل والانساني ، وتجربته ، عبر الالتقاط والوعي ، والحضور التام للاشياء .. ولكن لكل شاعر خصوصيته في التناول والتعبير وشخصيته المميزة في الكلمة ، صياغة ، ومضمونا ، ومدلولات عامة . صحيح ان وجدانات الشاعر قد تصل حتى في لحظات المعركة « درجة الاتقاد الوجداني » فتنبع قصائد غزلية ذات أبعاد ممتدة في الماضي ـ كما حاولنا طرح هذه المسألة وتفسيرها في « الآداب » (٤) ـ ولكن ذلك لا يمنع خلل نضج الشاعر ، من أن تكون صياغة قصائده ذات ارتباط وثيق بالتاريخ ، والتراث ، والمعمار الفني والحضاري لواقعه التاريخي .. وهذا التاريخ هو ليس من صنع الشاعر « المحض » بل هو من صنع البشر ذاتهم ـ والذي يكون الشاعر لبنة في البناء العام لهذا المجموع البشري الخالق .. ـ ولكن عبر وعي مدرك لشروط وقوانين الحياة .

وعليه فان الانفعال في تمزيق المفهوم السليم لارتباط الشاعر بوطنه وأرضه وشعبه وقضيته ، بدعوى ان الشاعر يجب أن يحقق « الاندهاش » في « ظل امرأة جميلة » أو عبر « حلم صباحي عابر » وعبر هذا « الاندهاش » ومن خلاله ـ فقط ـ يجب أن تقاس شاعرية

---

(١) من قصيدة لفاضل العزاوي منشورة في مجلة الكلمة العراقية .

(٢) من قصيدة لحميد المطبعي منشورة في مجلة ألف باء العراقية .

(٣) من قصيدة لحميد المطبعي في الكلمة .

(٤) راجع « الآداب » ـ العدد الخامس ، ايار ١٩٦٧ ـ السنة الخامسة عشرة .

الشاعر ، أو يعامل العمل الشعري .. أقول أن هذا الانفعال ـ ليس ذاتيا أيضا ـ بل أنه لصيق الصلة بالحياة ، والمجرى العام لتفكير الناقد ـ الآن ـ والذي قد يقف « مواقف » منافية أو متباعدة عن « الموقف الالتزامي العام » ، اذ ان ازدواجية الانسان ، بين أن يدلل شعره ، بتحسس المرأة ودغدغة الخيالات الرومانسية ـ وحدها ـ دون أن يجعل شعره يتدلى في شقاء الناس وألمهم ليمتص منه رحيقا يوميا ، فتلك محاولة خداع الذات ، وخداع الآخرين أيضا .. لان الانسان مهما بلغ به النزوع الذاتي لا بد أن يعكس ما في الحياة ، وفي الواقع .. لان الادب بمجموعه هو انعكاس لهذا الواقع ، ولكن البعض يعكسون هذا الواقع بشكل مشوه لخدمة أغراض طبقية مناهضة لتطلعات الجماهير الكادحة .. وبهذا يمزقون صلة القربى بين لغة الشعر الانسانية ، وبين الوجود الانساني العام ..

لذا فانني ـ هنا ـ لا أستطيع أن أعزل مشاعر الانسان «الشاعر» الذاتية ، عن مشاعر أبناء وطنه وشعبه ، الا اذا تحولت القصيدة الى نتاج حرفي محض .. أي أن يجلس الشاعر ، و « يصنع » قصيدة غزلية كما « يصنع » ـ وقت الطلب ـ قصيدة في مدح هذا أو ذاك.. وهكذا فان التخلي عن قيم العصر الراهن والتحولات الكبرى ، وقضايا الانسان والكفاح من أجل التقدم والتحرر ، والانعتاق .. الخ ، يسقط الشاعر ـ حتما ـ في ذاتية محضة ، من ثم يسبب له السقوط في العزلة التامة عن كل أساسات الخصب الانساني .. وبعد هذا وذاك ، فهو بدلا من أن يخطو خطوة واحدة الى أمام كمنجز فسوف يخطو خطوات الى الخلف ، وبهذا يظل هذا الشاعر يتشنج نهاره كله من أجل أن تنفلت منه ارهاصة شعرية لتخلق قصيدة ذاتية .. ولكن دون جدوى ! وبذلك لا يحقق أي تجاوز ولو على مستوى الذات ، اذ حين يهوى الشاعر نفسه ، ويهوى لذائذه اليومية « المحضة » فمن الطبيعي جدا أن يتميز غيظا ويكاد ذهنه « ينفلق » لعجزه عن فهم الحياة بخصبها النقدي ، وبجديدها الدائم ، بحكم الحذر الدائم الذي يغلف رؤاه وذهنه .. وهكذا يفقد الشاعر امكانية التغيير لانه لا يملك ارادة التغيير .

ان احساس الشاعر ، هو الذي يعطينا صورا صحيحة للاشياء .. ان كان هذا الاحساس نابعا من التقاط واع لحواس الشاعر ..

يقول لينين ان النظرية الماركسية في المعرفة تنطلق من ان « الحواس تعطينا صوراً صحيحة للاشياء ، واننا نعرف هذه الاشياء ذاتها وان العالم الخارجي يؤثر في حواسنا » « ولكن التصور الحسي ليس واقعا موجودا خارجا عنا ، بل هو صورة هـذا الواقع فقط » ..

لذا فالشاعر ، لا يمكن أن يكون ذاتي الحس (المحض) .. لان الحس ليس (محضا) بالاساس .. ومن هذا فان تصور الشاعر يخضع لقيم حياتية موجودة في العالم الذي يحيطه ، وهكذا فهو يتفاعل ، عبر عملية الخلق الشعري بالعديد من (الخواص الموضوعية للاشياء ، أشياء الواقع وظواهره) نتيجة علاقاتها وتفاعلها بعضها مع بعض ..

لذا ، فالذي نخشاه أن يسقط الشاعر ، والناقد ، في فهم « الجمالي » ، في الشعر ، في لغة الاستعمال اليومية العادية .. اذ ان من الضروري أن يكون للشاعر رؤاه الجمالية ولكن على أن يكون « الجمالي .. علاقة » لان « عناصر العلاقة متحدة عمليا ، لكنها ، نظريا ، ليست ذات قيمة واحدة ، فما يدركه الانسان لا يمكن الا أن يفسر ويقيم ، أما الادراك كعملية فيزيولوجية ، فلا يستدعي بالضرورة تفسيرا أو تقييما .. » .

لذا فان الشعراء مطالبون بأن تكون عمليات البحثوالاستكشاف الجديد في اللفظة والعبارة الشعرية ، نابعة من فهم أصيل لجمالية القصيدة كبناء عضوي متكامل .. من ثم فان الصيغة الخاصة ، للتعبير عن أفكار الشاعر ، تضفي وتحقق خصوصية الحس ، وخصوصية الالتقاط ، عبر خصوصية اختيار الشكل الفني للمضمون الانساني الجزل ، لا الشكل التجريدي للمضمون التجريدي ، أيضا .. لكيما يتم التجاوز الاكمل والانجاز الاروع للشاعر ، ثم ان عنصر الربط بين وحدات القصيدة ، يجب أن يحقق معماره الفني بحيث تتحول القصيدة الى بناء متكامل ، بالصور ، أو الافكار .. ولكن ، دون تجزئة وتحطيم حتى لفكرة العبارة الشعرية الواحدة ..

ان السقوط في هذه اللغة ، يحول دون تكامل « الخلقالشعري » لدى الشاعر الفنان .. وبذات الوقت فان التزمت الجامد في صيغة المضمون السياسي اليومي للقصيدة يسقطها في المباشرة ولغة الشعارات ، ويفقدها فنيتها ، وجماليتها .. وغناها الانساني المؤثر .

فكيف نتجاوز هذا الفهم المشوش للشعر ، ولذاتية الشاعر ، وذاتية « الخلق » ـ كما يدعو البعض ـ ؟.. هل بانجاز قصائد ذاتية محض ومغلقة وغارقة في الرمزية ؟ كلا بالطبع ، فان ذلك لا يتم ، دون خلفية فكرية ، تعتمد أرضية صلدة ، ذات استيعاب جذريللاصول، والقيم الشعرية والتراثية ، والحياتية ، ومن ثم ، فلتكن الرؤية الجديدة ، حصيلة طبيعية لتفاعل واع ، ومراس ونشاطية خصبة لكي يحقق الشاعر ، بعدها ، جزالته اللفظية في مضمونه الانساني ، وعبر شكله الشعري الجديد .. وبذلك يسجل انجازا طيبا في عمله الشعري ..

وهكذا فالشاعر « يجب » أن يتجاوز الواقع ، ليحمل في أعماقه الرؤيا المستقبلية الخضراء للحياة . من ثم فالنقد « يجب » أنيكشف ويتجاوز من خلال فهمه ووعيه وتفاعله وادراكه للواقع ، أبعاد الانسان المعاصر ، ومهمته ، وعلاقاته الحضارية .. ان التجاوز ، مرحلة وعي دقيقة ، يعيشها الشاعر والناقد والفنان ، من خلال الانجاز اليومي الذي يعتمد أرضية فكرية صلدة ، ونظرية مرشدة ، ذاتقيم ديناميكية، ومن ثم ، فالشاعر والناقد ، في مرحلة التجاوز ، أي الانجاز المتتابع ، يعتمد أساسا ، ان هو انطلق من موقع المادية التاريخية فكريا ، التغيير الثوري ، مسارا زمنيا ، ومسعى ، وهدفا ..

الشاعر ينظم سلوكه الشعري ، ينظم كلماته ، ينظم تفاصيل عمله اليومي بشكل يخدم قضية الثورة ، قضية الانسان ، وقضية التغيير الثوري الجذري . ان عنصر التكثيف الشعري لمقومات الحياة اليومية تخرجنا من طور الرومانسية الذاتية الى آفاق أبعد ، تتجلى فيها جمالية الشاعر ، وتقنيته ، عبر فهم ثوري لدوره ووظيفته في الحياة .

الشاعر ملهم أجيال ، وملهم أمة . وهو في ذات الوقت ، عنصر ديناميكي فاعل ومغير ، بعد أن يتجاوز مهمته كمحرك وداعية ثوري .. وحين تتحول كلمات الشاعر الى رصاص ، وحرفه الى بندقية ، يكون المغني الاكثر اصالة عن قيمنا الثورية وعن عصرنا الثائر المتجاوز والمنجز .. ومن هنا فالمد الايجابي للغة الشاعر ، هي في ذات الوقت دفع طبيعي للناقد الشعري بأن « يفرز الشعر » ويحقق عبر ذلك تعاملا متكاملا مع الكلمات ، ومع الاهداف ومع العمل اليومي لكي يتحقق عنصر الانجاز والتجاوز في لغة الشعر ، أيضا ، والكشف الجديد عن قيم جمالية وثورية في المفاهيم والاغنيات المطروحة .

بغداد — **محمد الجزائري**

منشورات دار الاداب
تطلب في دمشق من وكيل الدار
مكتبة النوري
شارع سنجقدار

حول اوضاع الطلبة العرب ..

بقلم بسام طيبي

احب اولا ان اعبر عن شكري للزميل نبيل مهايني لاهتمامه بموضوع الطلبة العرب في الخارج ، هذا الموضوع الذي تطرقت اليه بحديث عن الطلبة العرب في المانيا الغربية على صفحات « الآداب » (١) وما اعجبني في مقال السيد مهايني حرصه العميق على جو الحوار الموضوعي وجهده الذي بذله لتفهم ما كتبته على ما هو عليه . وفيما يلي لا ارغب في الرد بقدر ما ارغب في توضيح بعض الامور التي قد اساء الزميل فهمها واعتقد أنني مسؤول جزئيا عن سوء الفهم الذي حصل ونوعا ما مجلة « الآداب » كما سنرى :

١ ـ اولا : النقطة الرئيسية في نقد الزميل مهايني هي قوله « فبحث اراد له صاحبه ان يكون على مستوى معين من « البحث العلمي » و « الالتزام » لا يمكنه أن يكون بهذا الشكل » والسبب في ذلك هو « رداءة البحث ، ليس من حيث هو منطلق ـ اكرر ـ وانما من حيث هو تطوير » لكن مع ذلك فهناك « نواح ايجابية وصحيحة في البحث ـ واهمها طرحه في حد ذاته ، بشكل او اخر » (٢) .

كما نرى من الاستشهادات الواردة أعلاه ان نقد الزميل مهايني مركز على « التطوير » وليس على « المنطلقات » وهو يرى ان ميزة ما كتبته ينحصر في طرحي للمسألة . والواقع أنني لم احاول القيام باي تطوير ، وعندما طورت بعض المنطلقات ، بالضرورة ، لم انس ان اشير الى مدى فجاجة هذه التطويرات وعندما حللت لم انس ان اضيف ان هذه تحليلات تبسيطية او بسيطة حسب تعبير الزميل مهايني .

وكنت قد كتبت في مطلع المقال انني لا اكتب عادة دون القيام ببحث علمي ، وانني رغبت ببحث مشاكل الطلبة العرب في المانيا بشكل علمي، لكن عدم وجود المراجع منعني من ذلك . غير ان ادارة تحرير « الآداب » حذفت هذه الفقرة التي كتبت بها ذلك ، ولا ادري ما السبب (*) ، ولو لم تحذف الآداب هذه الفقرة ، لاستطاع الزميل مهايني قراءتها ولما وجه الي النقد بأن بحثي دون مستوى البحث العلمي ، فأنا لم اقل قط بأنني اقدم بحثا علميا في هذا . كل ما اردته للبحث هو الالتزام من ناحية ، وعرض المسألة من ناحية اخرى ، لا غير .

والحقيقة انني لم أكن لاقوم بنشر بحث من هذا النوع ، أي دون بحث علمي ، لو لم ار ضرورة طرح مسألة لم تلفت نظر أحد حتى الآن. كذلك دفعني الى كتابة البحث رغم شكله اللاعلمي استيائي البالغ من اوضاع الطلبة العرب في الخارج ورداءة نوعياتهم بشكل كبير ، فمعظمهم يأتي الى اوروبا ليس طلبا للعلم وانما للتسلية وللتنزه .

٢ ـ ثانيا : وجه لي الزميل مهايني النقد لتقسيمي الطلبة العرب في المانيا الغربية الى خمس فئات ، لا داعي لتكرارها الآن . ونقد الزميل مهايني صحيح . فمن التزم بالفكر الدياليكتيكي يرفض التصنيف لان كل نوع من التصنيف يقود الى القوالبية Schematism والجمود هذا اذا لم نقل الى السكولاستيكية . لكنني قمت رغم ذلك بالتصنيف المذكور كأسلوب مساعد لتفهم نوعية الطلبة العرب في المانيا ولم أقم بذلك التصنيف ليكون نهائيا لا يشك بصحته . وبما انني لم اوضح هدفي من عملية التصنيف المذكورة فانني المسؤول عن سوء الفهم الذي حصل . والزميل مهايني محق في نقده .

٣ ـ ثالثا : اتهمني الزميل مهايني باستعمال الجمل الجاهزة وكمثال على ذلك يستشهد بقولي في مقالتي المذكورة : « فرغم عدم تحرر المرأة في اوروبا كليا ، فان وضعها لا يمكن مقارنته مع وضع المرأة العربية المكبلة بالاغلال » ثم يعلق على هذه الصياغة ، بعد اتهامه لي باستعمال العبارات الجاهزة وعدم الوضوح في التفكير ... الخ ، فيقول « فلا ادري ماذا يقصد بعدم تحرر المرأة في اوروبا كليا ، وماذا يعني بتحرر المرأة وبكليا ؟ »

والواقع ان الزميل مهايني يمس هنا احدى النقاط فيما كتبته أعتبر نفسي باحثا علميا بها . فلقد اهتممت كثيرا بقضية تحرر المرأة وامضيت مرة شهرا كاملا من العمل العلمي المركز من اجل وضع بحث عن قضية تحرر المرأة (٣) . والجملة التي استشهد بها السيد مهايني ليست جملة جاهزة مطلقا ، وانما قائمة على اسس من البحث العلمي وسأشرح ذلك فيما يلي :

يقول لينين في خطاب له في المؤتمر الدولي للمرأة « ولا تكتفي الحركة النسائية البروليتارية بالنضال من اجل المساواة الشكلية ، وانما تضع لنفسها الوظيفة الرئيسية في النضال من أجل المساواة الاقتصادية والاجتماعية ، ان الوظيفة الرئيسية هي ادخال المرأة في نطاق الانتاج الاجتماعي ، وتخليصها من عبودية المنزل ، وتحريرها من جو المطبخ وغرفة الاطفال ، هذا الجو المذل والدائم والذي يحجر العقل وهذا كله يستلزم كفاحا طويلا يستوجب تغييرا اساسيا في التكنيك الاجتماعي والاخلاق » (٤) .

المسائل التي يطرحها لينين في هذا الاستشهاد طرحها ايضا اكبر كاتب عربي في العصر الحديث وهو المنور الاجتماعي العربي سلامة موسى ، وذلك في عدد كبير من الكتابات التي دافع فيها عن حرية المرأة ، ليس كقاسم امين بشكل تبشيري ، وانما بعد تفهم علمي لوضع المرأة في المجتمعات العربية بشكل خاص وفي المجتمعات الحديثة بشكل عام (٥).

حسب سلامة موسى ، وحسب الاستشهاد المورد من لينين ، فهناك مفهومان لتحرر المرأة : اولا المفهوم المرتبط بمفهوم الديمقراطية البرجوازية ، أي المفهوم الشكلي لحرية المرأة الذي يعتبر المرأة متحررة عندما يضمن القانون لها الحريات الشكلية .

اما المفهوم الثاني فهو المفهوم الاشتراكي العلمي الذي لا يكتفي بالحريات الشكلية فهذا ليس بتحرر ابدا ، انما تحرر المرأة حسب المفهوم الاشتراكي هو تحررها في ميدان الانتاج من جهة : أي مساواة المرأة بالرجل في نطاق علاقات الانتاج المادي ، ومن جهة اخرى في ميدان العمل السياسي : أي مساواة المرأة بالرجل بكل ما يختص بالممارسة السياسية والاجتماعية .

---

١ ـ الاداب ـ عدد ٨ ـ أغسطس ١٩٦٨ .

٢ ـ الآداب ـ العدد العاشر ـ اكتوبر ١٩٦٨ ـ صفحة ٦١ ـ ٦٣

(*) ملاحظة من التحرير : لم تحذف « الآداب » مثل هذه الفقرة ، ولكن ربما سقط ذلك في اثناء التصف .

٣ ـ بسام طيبي : مسألة تحرر المرأة في المجتمع العربي الحديث ـ في : الطليعة (القاهرية) قيد النشر ـ (عدد نوفمبر ؟)

٤ ـ W. I. Lenin : Ueber Kultur und Kunst. Berlin 1960. P. 350f

٥ ـ لقد تطرقت في بحثي المذكور في حاشية رقم ٥ بما فيه الكفاية الى سلامة موسى . يمكن العودة الى الكتابات التالية لسلامة موسى بهذا الصدد المرأة ليست لعبة الرجل ـ بيروت والقاهرة ١٩٥٦ ـ الشركة العربية .

ايضا سلامة موسى : افتحوا لها الباب ـ القاهرة ١٩٦٢ ـ دار سلامة موسى . سلامة موسى : الحب في التاريخ ـ بيروت ١٩٦٤ ـ دار المعارف ـ سلامة موسى : فن الحب والحياة ـ بيروت ١٩٦٢ ـ طبعة ثالثة ـ دار المعارف ـ سلامة موسى : مشاعل الطريق للشباب ـ بيروت ١٩٦٤ ـ طبعة ثالثة ـ دار العلم للملايين . انظر ايضا بهذا الصدد : غالي شكري : سلامة موسى وازمة الضمير العربي ـ بيروت ١٩٦٥ ـ المكتبة العصرية ـ فصل : الحب ومأساة الانسان ـ صفحة ١٩٦ ـ ٢١٨

لنعد الآن الى الزميل مهايني الذي رأى فراغا في قولي ان المرأة الاوروبية غير متحررة كليا وان المرأة العربية مكبلة بالاغلال ، هذا القول الذي اعتبره السيد مهايني جملة جاهزة فارغة تعبر عن « السهولة واللفظية والفراغ والفقر ... في الافكار ... (التي) ... تطبع بعضا من طرق تفكيرنا ... »

المرأة الاوروبية غير متحررة كليا ، ما معنى هذا ؟ اذا اخذنا المنطلق المورد أعلاه بخصوص تحرر المرأة ، فاننا سنصل الى الحقيقة من ان المرأة الاوروبية لا تمتلك سوى الحريات الشكلية . فهي غير متساوية مع الرجل في نطاق الانتاج وفي نطاق العمل السياسي وللرجل الاوروبي امتيازات عديدة جدا تجعله يلعب دور السيد المتسلط بالنسبة للمرأة . المرأة ، الاوروبية هي متحررة ، اذن ، شكليا فقط ، اي انها غير متحررة كليا بعد . لننتقل الى المرأة العربية : المرأة عندنا مكبلة بالاغلال كما ذكرت اعلاه وبسبب بسيط فهي لا تمتلك حتى الحريات الشكلية التي تمتلكها المرأة الاوروبية ، وفي بحثي المشار اليه عن مسألة تحرر المرأة في المجتمع العربي ما فيه الكفاية من الادلة على ذلك .

نقد السيد مهايني ، اذن ، نقد غير صحيح . وعلى الزميل مهايني ان يأخذ هذه الحادثة كدرس يتعلم منه التمهل والمحيص قبل الصاق التهم الكبيرة مثل « الفراغ والفقر الفكري » وما شابه ذلك . انني من انصار النقد وأرحب بنقد السيد مهايني ، لكن من الاوليات أن يفهم الناقد من ينقده جيدا قبل اطلاق الاحكام القاطعة عليه .

٤ ـ رابعا : تطرقت الى مسألة تحرر المرأة لدى معالجتي لمشكلات الطلبة العرب في المانيا في نطاق تعرضي للمشاكل الجنسية لهؤلاء الطلبة لدى اقامتهم في الخارج مما يجعلهم يفشلون في دراستهم . حول هذه النقطة بالذات يوجه الي السيد مهايني النقد الحاد فيقول « لا يجب علينا معالجة « قضية الجنس » من خلال ضيبة امالنا من أجل وضع افضل للطلبة العرب في الخارج ، او من خلال ردة فعلنا « الصوفية » على وضعهم ذاك ، ولكن من الضروري معالجة الجنس على انها قضية طبيعية . ولا ادري لماذا يجب على الطالب العربي او غيره ان يتصوف او يعاني الحرمان حتى في مجتمع الكبت فيه جريمة ذاتية واجتماعية . كما لا ادري لماذا يجب حتى ان نأمل بأن يكون الطلبة العرب كالطلاب الملائكة ؟ » وبعد ذلك يطالبني الزميل مهايني بأن لا اتحدث وكأنني جالس في احد احياء دمشق المحافظة او في الصعيد .

والحقيقة انني تألمت كثيرا عندما قرأت هذه الاتهامات ، خاصة لانني اعتبر نفسي من المتحررين كليا من التفكير الاجتماعي الشرقي المشهور برجعيته ومحافظته . وفجأة اصبح في نظر الزميل مهايني من رواد مقاهي سوق ساروجة او العمارة حيث يجلس التنابل ويتحدثون عن ما حل بعصرنا من اباحية وتدهور في الاخلاق .

انني وجدت نفسي مجبرا لاقرأ ما كتبته في مقالي عن الطلبة العرب مرة ثانية لاتأكد من انني لم اتفوه بشيء مماثل .

انني لم اطلب من الطلبة العرب التصوف ، ومتى كان أنصار المادية التاريخية من المتصوفين ؟. كل ما طلبته هو تفهم عقلاني لمسألة الجنس اي كما فعل سلامة موسى وغيره .

ان ما ذكرته يتلخص بما يلي عندما يأتي الطالب العربي من الوطن الى اوروبا ، أي من مجتمع رجعي محافظ الى مجتمع فيه بعض الحريات فان هذا الطالب يصاب بصدمة ، فيشغل الجنس كل افكاره.

سلامة موسى اصيب أيضا بهذه الصدمة كما يكتب عن ذلك في كتابه « مقدمة السوبرمان » (٦) ، واعتقد أن السيد مهايني عرف هذه الصدمة ، كما عرفتها أنا وكل عربي عاش في اوروبا . لكن هذه الصدمة تدعو البعض ، البعض القليل جدا ، للتفكير حول المسألة ، بينما تبقى علاقة معظم الاخيرين بقضايا الجنس ، علاقة مريضة لدرجة الباثالوجية.

وقد صور الدكتور سهيل أدريس هذه الاشياء بشكل جيد في احد اعماله الادبية القيمة (٧) . ان المطالبة بعلاقة عقلانية نحو الجنس لا تعني انني أطالب بالتصوف او بأية آراء رجعية مماثلة . ان علاقة صحية أي غير باثالوجية تجاه الجنس تضمن تجنب الفشل في الدراسة من جهة ، ومن جهة اخرى ، تضمن لنا ان هذا الطالب لن يصبح رجعيا بما يخص قضايا الجنس ، عندما يعود للوطن ، فنحن نعلم جيدا ان الذين يعودون للوطن يتصرفون برجعيتهم السابقة ، وكأنهم لم يكونوا قط في اوروبا.

٥ ـ خامسا : النقطة الاخيرة التي أرغب التطرق اليها في نقد الزميل مهايني هي اتهامه لي بتقديم « عرض بدائي بريء » عندما اقول ان الطلبة العرب في اوروبا لا يتفاعلون مع الفكر العقلاني الاوروبي ثم يقول السيد مهايني « فلا ادري لماذا نطلب من هذا الطالب المتأخر المسكين الذي يدرس فرعا علميا ـ غالبا ـ أن يعرف مسرحيات موليير واشعار غوته وافكار كروتشه ، في الوقت الذي لا يعرف فيه ـ ولا يجب ان يعرف كثيرا ـ ابن خلدون او ابن رشد والغزالي » .

ان الزميل مهايني يعيش ايضا في أوروبا ويرى ثورة الشباب من الطلبة واحد اهداف الثورة الطلابية ، كما قد يعلم الزميل مهايني : هو محاربة الاتجاه السائد في اوروبا نحو التخصص المبالغ به فلا يعود مثلا عالم الطبيعة يعلم أي شيء في العلوم الانسانية ، بينما نرى في الدول الاشتراكية ان على كل طالب مهما كان فرع دراسته ، أن يدرس العلوم الانسانية ـ في الغالب فلسفة ، أقتصاد ، سوسيولوجيا ـ لمدة لا تقل عن سنة حتى ولو كان يدرس الطب البيطري او طب الاسنان . والطلبة مثلا في المانيا يسمون اساتذتهم حمقى متخصصين (بالالمانية Fachideoten) وليس هذا من قبيل الصدفة . ونحن في مجتمعاتنا المتخلفة بأشد الحاجة الى مثقفين اكثر مما نحن بحاجة الى متخصصين، فكم من طالب عربي لم يسمع قط باسم ابن خلدون . واذكر انني استشهدت مرة في حديثي بابن خلدون فسألني محدثي في اية صحيفة يومية او في اية مجلة كتب ابن خلدون ذلك . أليس هذا بشيء شنيع ؟

لقد سمى مفكرنا الكبير سلامة موسى التخصص كهوس فكري . يكتب سلامة موسى قائلا « التخصص هو ان نعرف بؤرة أو نقطة نتعمقها الى أسفل أو نبني فوقها الى اعلى . ولا تتجاوز البؤرة أو النقطة . ولكن التثقف هو ان تتوسع الآفاق بلا تعمق ، فنعرف اكثر مما نستطيع لفهم الكون والانسان في الحضارة والاخلاق » (٨) ويضيف سلامة موسى « وليس شك اننا كلنا محتاجون الى التخصص ، أي الى مهارة في علم أو فن ... ولكننا نحتاج الى التثقف كي نغذي أذهاننا وندربها على التفكير ... التخصص للحرفة والتثقف للحياة ونحن في حاجة الى الاثنين » . والحقيقة انني لا ادري لماذا يدافع المهايني عن جهل الطلبة العرب !!

واخيرا احب أن اشير الى ان قول الزميل مهايني ان الطلبة لا يستطيعون التفاعل مع الفلسفة العقلانية الاوروبية ، لان التفاعل مع فترة تاريخية يعني عيش هذه الفترة ، وفترة الفلسفة العقلانية من فولتير الى هيغل وماركس قد انتهت ، احب أن اشير الى ان الزميل مهايني مخطىء جدا . فهل يجب علي ان اعيش في عصر هيغل وماركس حتى أتفاعل مع ما كتباه ؟ بالطبع لا ولا اعتقد ان انسانا عاقلا يستطيع انكار ذلك .

لا بد ان اوجه في النهاية شكري مجددا للزميل مهايني ، فهو رغم عدم اصابته في بعض الاحيان ، بذل جهدا وحافظ على الموضوعية .

---

٦ ـ سلامة موسى : مقدمة السوبرمان ـ القاهرة ١٩١٠ ـ دار الهلال ـ صفحة ٢٧ .

٧ ـ انظر : الدكتور سهيل ادريس : الحي اللاتيني ـ دار الآداب ـ

٨ ـ سلامة موسى : المختارات ـ بيروت ١٩٦٣ ـ طبعة ثانية ـ مكتبة المعارف ـ صفحة ٣١٢ .

تعليق آخـر ...

في عدد نوفمبر ١٩٦٨ من « الآداب » نشر مجاهد عبد المنعم مجاهد شيئا سماه « نقدا » لابحاث عدد اكتوبر ١٩٦٨ مـن « الآداب » . السيد مجاهد يجعل جميع الابحاث المنشورة فـي عدد اكتوبر المذكور لا تخرج عن كونها « ثرثرة في عدة نقط » . بناء على ذلك قام السيد مجاهد بكيل الشتائم لمعظم كتاب العدد المذكور من « الآداب » وكـان حظي من السباب والشتيمة يفوق حظ الآخرين .

ليس لساني قاصرا عن رد الشتيمة بشتيمة اكثـر منها لذعا ، لكنني كباحث علمي اعتبر نفسي فوق هذا المستوى وارفض ان انزل الى مستوى هذه المهاترات .

ومن يطالع ما كتبه السيد مجاهد من شتائم لكتاب عدد اكتوبر من الآداب ، يعتقد أن السيد مجاهد من العباقرة الذين يرون ان ما يكتبـه الآخرون لا يتعدى « السخافات » ومن يطلع على ما كتبه السيد مجاهد من ابحاث يرى مدى تواضع هذا الكاتب اذا ما قيس ما نشره بما وجهه من المسبات للآخرين (١) . وما كتبه السيد مجاهد من نقد يحتوي مـن النرجسية درجة تثير اهتمام المحللين النفسيين .

واعتقد أن ذنبي الوحيد الذي جلب لي بذاءة لسان السيد مجاهد هو عدائي الواضح ، والمعروف لدى الجميع ، لاتجـاه سياسي معين يدعي الماركسية بينما هو في الواقع لا يمت للماركسية بصلة . وقـد برز عدائي لهذا الاتجاه المعين شبه « يساري » الستاليني في ابحاث عديدة نشر معظمها في « دراسات عربية » . وكان الزميل الياس مرقص قد تعرض قبلي لهجمات مسعورة وذلك لتوجيهه النقد لهـذا الاتجاه المعين الذي يدعي الماركسية . لقد اظهر السيد مجاهد هذا الامر بكـل وضوح في فقرة كاملة مما كتبه في نطاق تشهيره بي .

ثم ان السيد مجاهد الذي اتهمني باستعمال المصطلحات العلمية « بشكل خاطيء ومائع » يجب ان يخجل على نفسه وهو من اتباع اتجاه « سلطة الاصطلاحات » هذه السلطة تظهر بكل وضوح في ترجمة السيد مجاهد لكتاب اوغست كورنو التي نشرت اخيرا (٢) . فهو مثلا يترجـم مصطلح هيغل فلسفة العقل Philosophie des Geistes بـ « فلسفة الروح » وهو يترجـم مصطلح كانت I. Kant المعروف باسـم Der Kategorische Imperativ بـ « الامر المطلق » وهذه ترجمة خاطئة كليا . ان ترجمة الاصطلاح المذكور صعبة جدا ولا يمكن ترجمـة هذا المصطلح للعربية بعبارة واحدة تماما كما لا يمكن ترجمة مصطلـح ابن خلدون عن « العصبية » بعبارة واحـدة كلمـة Antagonism « بتطاحن » خاطئة كليا فالمصطلح المذكور يعني تناقضا والتناقض هـو شيء غير « التطاحن » . وبوسعي وضع قائمة طويلة عـن « سلطة الاصطلاحات » في ترجمة مجاهد .

واخيرا ، نعتقد ان على « الآداب » ان تسعى للمحافظة علـى سمعتها وعلى كرامة وسمعة كتابها . نحن من انصار النقد وحتى الحاد منه . لكن الشتيمة ليست نقدا .

فرانكفورت — بسام طيبي

---

١ ـ انظر مثلا البحث التالي المتواضع جدا : مجاهد عبد المنعـم مجاهد : الفني وعلاقته بواقع المجتمع ـ في : الفكر المعاصر (القاهرة) عدد ٤٠ يونيو ١٩٦٨ صفحة ١٨ ـ ٢٥ .

٢ ـ انظر : اوغست كورنو : اصول الفكر الماركسي ـ بيروت ١٩٦٨ ـ دار الآداب ـ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد . والترجمة بكاملهـا رديئة تحتاج الى اعادة نظر .

دار الآداب تقدم

قصة المقاومة الفيتنامية

كما يرويها ابطالها

يعتبر نضال الشعب الفيتنامي لتحريـر ارضه من اطول ما عرف التاريخ الحديث من مقاومة وصمود.
وهذا الكتاب الهام الذي نقدمه للقراء العرب ، في هذه الفترة التي تحتشد فيها الطاقات العربية كلها لمقاومة العدوان الصهيوني وتحرير الارض العربية في فلسطين ، يحمل مثالا وعبرة وفائدة عظيمة ، لا سيما وان مؤلفيه هم انفسهم من ابطال المقاومة الفيتنامية على رأسهم الجنرال فو نيغوين جياب قائد المقاومة الفيتنامية سابقا ووزير الدفاع في فيتنام حاليا . والمؤلفون يروون باسلوب شيق طريف ذكريات اعمالهـم السياسية والحربية في سايفون وهانوي واعوام الاسر والسجن والتعذيب ، والاحتلال الياباني وقيام حروب العصابات في حقول الارز والغابات الكثيفة ، حتى تعبئة الشعب كله في ربيع عام ١٩٤٥ وانشاء جمهورية فيتنام الديمقراطية في هانوي .
وخلال هذه القصة يبرز وجه مدهش عجيب : هو وجه ذلك المناضل الشاب ، والمثقـف الانساني ، والثائر الذي لا يلين : « العم هو » الذي سيصبح فيما بعد الرئيس هو شي منه ...
والفصل الاخير في الكتاب يتحدث عن المقاومة البطولية الرائعة التي ما يزال شعب الفيتنام يخوضها بقيادة جبهة التحرير الوطنية حتى ايامنا هذه ضد الاحتلال الاميركي وعملائه في فيتنام الجنوبية .

الثمن ٣٠٠ ق. ل — **صدر حديثا**